الخطبة العشرون

لعلكم تفلحون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْد للهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهُ تَعَالَى، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

1 – من رحمة الله سبحانه وتعالى علينا أن هدانا برسالة الإسلام.

2 – ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، فهي الرسالة الكاملة التامة التي رضيها ربنا لنا، ونبي الإسلام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام سيد الأنبياء وسيد ولد آدم، صاحب الوسيلة والفضيلة، صاحب الشفاعة الكبرى، والمقام المحمود ومن رحمته تعالى أن حَفِظَ لنا رسالة الإسلام وحفظ لنا قرآننا، ولم يترك ذلك لنا، بل تكفل سبحانه

بحفظه ورعايته فقال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 41/ 42].

3 - ومن رحمته سبحانه وتعالى أن جعل هذا الدين يسر وليس فيه حرج، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 2/ 581]، فهذا أصل عظيم، ولذلك قال بعض المفسرين: إذا رأيت حرجًا في الدين فابحث وانظر واسأل؛ لأن الحرج مرفوع، فلعلك أخطأت في الفهم أو النقل؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 22/ 78].

4 - ثم إن الله سبحانه وتعالى ما كلفنا إلا ما نستطيع، وهذا من رحمته وعطفه ومن فضله علينا، وهذا أصل عظيم من أصول ديننا، لأن ديننا واقعي وعملي وإنساني ويناسب فطرتنا ويناسب طاقاتنا فما ألزمنا سبحانه ما لا نطيق، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: 64/ 16].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم» البخاري ومسلم.

والاستطاعة نسبية فما تقدر عليه أنت قد لا أقدر عليه أنا، فانظر إلى رحمة الله تعالى علينا وفضله وعدله، فإنه يحاسبنا ويجازينا بقدر استطاعتنا وقدرتنا فلله الحمد والشكر والنعمة والرضا والفضل الجزيل.

5 - ثم إن من رحمته سبحانه وتعالى أن عرف ضعفنا وتقصيرنا فقبل منا التوبة والاستغفار إذا أتيناه تائبين مخلصين نادمين، وهذا من أكبر النعم علينا ومن رحمته بنا، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 39/ 53]، وقال تعالى:

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: 4/ 147].

فإن نحن تبنا وأنبنا مع الإيمان الصادق المخلص واتبعنا الرسول عليه الصلاة والسلام وشكرنا الله تعالى وتركنا الشرك والنفاق والرياء والمخالفات الشرعية فالله سبحانه وتعالى لا يعاقب إلا على المخالفة، ولا يعذب إلا من يستحق العذاب، ويعفو الله سبحانه وتعالى عن كثير، ورحمته وسعت كل شيء، وكما قال عليه الصلاة والسلام عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي» رواه مسلم.

وفي البخاري قوله ﷺ: «إن رحمتي سبقت غضبي» فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى.

6 – ومن رحمته سبحانه وتعالى علينا أن بيّن لنا طريق الفلاح وطريق الفوز وطريق النجاة؛ فجاء في القرآن الكريم بآيات ختمها: بـ(لعلكم تفلحون)، إحدى عشر آية خُتمت بـ (لعلكم تفلحون)، وكأنه سبحانه وتعالى يقول: إذا أردت الفلاح فهذه وسائله –والله أعلم– وسأتعرض لكل آية وأرجوه تعالى أن يهديني للعمل بهن، آمين:

1 – قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 2/ 189].

آية عامة بدأها الله سبحانه وتعالى لأن التقوى هي أساس الفلاح، وذلك أن الإيمان والتصديق يورثان التقوى، فلولا إيمانك بما وعد الله به وبما قاله الله سبحانه ورسوله الكريم ﷺ لما كنت تخاف وتتقي، فعندما يقول لك إنسان: لا تقرب هذه الحفرة؛ فإن بها حية سامة. فإذا أنت صدقته فإنك لا تدخل يدك بهذه الحفرة، لذلك كان من أبرز علامات المؤمنين هو إيمانهم بالغيب، والله سبحانه وتعالى ابتدأ سورة البقرة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: 2/ 2 – 3].

فالمتقين هم الذين يؤمنون بالغيب، فالتقوى هي نتيجة الإيمان، وهي مصداق

الإيمان، وهي تحقيق الإيمان، وهناك قاعدة مهمة جداً، جعلها بعض المفسرين قاعدة أساسية في قبول العمل، وهذه القاعدة هي قاعدة قرآنية، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 5/ 27]، لذلك أضيف: إن التقوى هي شرط القبول، وبهذا تتحقق الآية الكريمة (189) البقرة التي بدأناها، وهي أن التقوى تصبح شرط الفلاح فألخص القول: التقوى مصداق الإيمان، وتحقيقه ونتيجته وشرطه وقبوله وفلاحه.

2 - قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 3/ 130].

تحريم الربا والتحذير منه أمر من أمور الكبائر، ينهانا الله عنه ورسوله عليه الصلاة والسلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هنَّ؟ قال: 1 - الشرك بالله، 2 - والسحر، 3 - وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق، 4 - وأكل الربا، 5 - وأكل مال اليتيم، 6 - والتولي يوم الزحف، 7 - وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» البخاري.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أحد أَكْثَرَ من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قِلَّة» ابن ماجه. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: 2/ 275]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 2/ 278]، شرط الإيمان أن تترك الربا، إن كنتم مؤمنين ذروا ما بقي من الربا، لأن الله تعالى الرازق المنعم المتفضل المعطي الوهاب يقول: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: 2/ 276].

أولاً - يمحق الربا، محق معناها: أبْطَلَ ومحا وقطع، أذهب الله بركته، وأذهب الله ربحه وأبْطلَه.

ثانيـًا - قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ أي: جاحداً لشريعة الله وجاحداً

لأمر الله تعالى، وجاحداً لفضل الله عليه وناكراً لفضل الله بأن رزقه وكفاه، فهو ليس بحاجة إلى هذا الربا، وإنما هو الطمع والجشع.

ثالثًا – قال تعالى: ﴿أَثِيمٍ﴾ على وزن فَعِيل أي: واقع في الإثم والذنب، ثم يأمر الله تعالى بالتقوى وهي الخوف من الله تعالى لعلكم تفلحون. وعن جابر رضي الله عنه قوله ﷺ: «لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وهم سواء» مسلم.

3 – قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 3/ 200].

في هذه الآية الكريمة شَرَطَ الله سبحانه الفلاح وعلقه بأربعة أمور: الصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى.

أ– أما الصبر فهو الصبر على المأمورات من أوامر الشريعة وفروضها وواجباتها، والصبر عن المنهيات، كالمحرمات وما أخل بالعقيدة والإيمان؛ كالشرك بأنواعه والكبائر والذنوب والسيئات وأكل أموال الناس، والصبر على المصائب، ونوائب الدهر والأمراض، فقالوا: الصبر على المكروهات، والصبر على الدعوة ونصرة الدين، والإخلاص لله تعالى ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: 74/ 7].

ب– (صابروا) أي: أنه إذا بلغ بك الحال الصعب حالة بنظرك أنها لا تطاق صبِّر نفسك وصبِّر غيرك «واستعن بالله ولا تعجز» قوله ﷺ في رواية مسلم، وتوجه إلى الله تعالى، وادعُ لنفسك ولأخيك وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا﴾ [البقرة: 2/ 286].

وقد تكون المصابرة بمعنى الصبر على أمر لا ترى منه خروجًا، كإنسان في السجن مظلومًا، فهو في السجن ولا يستطيع فعل أي شيء، فهذا مطلوب منه المصابرة أي: الصبر على أمر ليس بيدنا حله، أو أننا نأمر غيرنا بالصبر والتحمل ونشجعه ونهون عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 39/ 10]، أو زوجة لها

أولاد وزوجها نكد شرس فهي لا تريد الطلاق حتى لا يضيع الأولاد فهذه عليها المصابرة، في سبيل مرضاته، والله أعلم.

ج- أما رابطوا؛ فأصلها من المرابطة والاستعداد للدفاع عن دين الله تعالى وحرمته وشريعته ورسوله ﷺ ومبادئه، دفاعاً عن الحق، رابطوا معناها: تسلحوا بالعقيدة الصحيحة والإيمان الصحيح، ربّوا أولادكم على حب الله تعالى وحب رسوله الكريم ﷺ، وحب صحابته الكرام، كونوا حراساً لدينكم وشعائركم ومقدساتكم.

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سَوْط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والرَّوْحَةُ يَرُوحها العبد في سبيل الله أو الغَدْوَةُ خير من الدنيا وما عليها» رواه البخاري.

دفاع عن الأراضي، دفاع عن المقدسات، دفاع عن العقيدة، ودحض للشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام لتشويه الدين، دفاع ودحض لسوء الفهم، كل هذا من الرباط، دفاع عن الصحابة والعلماء أيضاً من الرباط في سبيل الله تعالى.

د - واتقوا الله، أمرنا الله تعالى بالتقوى، لأن التقوى أساس في أي عمل، والتقوى هي مراقبة قلبك ومراقبة نيتك ومراقبة عملك، هل قلبك وهدفك ونيتك ومقصدك مرضاة الله وخدمة دينه ونشره؟ هل عملك موافق للشريعة وللسنة؟ التقوى هي أن تنظر إلى ما يرضي الله تعالى فتفعله، فاتقِ الله تعالى في صبرك ومصابرتك ومرابطتك، اجعل ذلك واحرص على أن يكون في سبيل الله وليس في سبيل حظ النفس، وليس في سبيل الشهرة والصيت الحسن، ولا في سبيل الزعامة والمنصب، أو في سبيل الثناء والمديح والتبجيل، اتقِ الله في كل لحظة وفي كل قول وفي كل عمل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: 98/ 5]، وقال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر: 39/ 2 - 3].

4 - قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: 5/ 35].

أمر سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالتقوى، ثم قال: وابتغوا إليه الوسيلة، فما هو الرابط بين التقوى والوسيلة؟ قاعدة من القواعد الشرعية وهي: أن الله تعالى لا يُعْبَدُ إلا بما شَرَّع، فأي إنسان لا يستطيع أن يُشرِّع عِبَادة، وليس له أن يتعبد إلا بنص شرعي وأمر نبوي صحيح، حتى رسول الله ﷺ قال الله تعالى له: قل: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: 46/ 9].

فرسول الله ﷺ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 53/ 4]. فالتشريع خاصية لله سبحانه فقط، وكذلك القاعدة المشتقة من هذه القاعدة هي: أن الله سبحانه وتعالى لا يُتَوسّل إليه إلا بما شَرَّع، لذلك اتقوا الله ولا تحيدوا عن شرعه ولا تخالفوا أوامر رسوله عليه الصلاة والسلام، ولا تبتدعوا وتُحْدِثُوا في دينكم ما لم يأذن به الله تعالى، ولا جاءت به سنة نبيه عليه الصلاة والسلام، فهذا والله أعلم الرباط. قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: ما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه» البخاري.

فيجب التقرب إلى الله تعالى بما أمرنا به وبما شرعه لنا سبحانه وتعالى. فالتقوى هي الطاعة، وهي الخوف من المخالفة، والخوف من العقوبة، والخوف من الغضب نتيجة مخالفة الشرع وما أمر الله به وما سنَّه رسوله عليه الصلاة والسلام، ثم قوله سبحانه: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ﴾، أمرنا سبحانه بأن نبذل أقصى جهدنا في تحصيل مرضاته في تطبيق شرعه والالتزام به، لأن القاعدة القرآنية هي: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ [التغابن: 64/ 16].

فالتقوى والمجاهدة هي حسب الاستطاعة، وهذا من رحمة الله تعالى بنا ومن فضله علينا ومن كرمه ولطفه بنا، وكأنه -والله أعلم- يقول: اتقِ الله وجاهد في سبيله؛ لأنه يعلم استطاعتك، واتقِ الله وابتغِ إليه الوسيلة بدون أن تبتدع أو تُغيّر أو تُحرّف، خفِ الله وخفْ عقابه، واعلم وأيقن بأنه سبحانه يعلم ويطّلع وخبير وعليم بذات الصدور.

وهناك ملمح آخر: ابتغِ مرضاة الله تعالى بكل وسيلة هي في استطاعتك ومقدورك، فالمعلم في تدريسه، والعامل في مصنعه، والبائع والتاجر في صدقه وأمانته... كلٌ حسب اختصاصه، اتقِ الله، وأرضِ الله بما تقدر عليه، وجاهد حتى تُحَصّلَ مرضاته، اسلك أي طريق باستطاعتك أن تسلكه وأية وسيلة في سبيل الله وفي سبيل دينه ونصرة شريعته متحلّياً بالعقيدة الصحيحة والإخلاص والالتزام بسنة النبي عليه الصلاة والسلام، ثم الالتجاء إلى الله تعالى والتضرع والدعاء بأن يقبل منا.

5 - قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: 5/ 90].

خطاب من الله تعالى للمؤمنين، خطاب فيه ما يصلح حياتهم ومعاشهم، خطاب سعادة لهم في الدنيا والآخرة، الحيوان محكوم بغرائزه وشهواته، وغرائزه وشهواته منضبطة بشكل جيد، فهو لا يخالفها لأنه لا يعقل، فيأكل حتى يشبع ولا يزيد، ويقرب زوجته عندما الغريزة تأمره ولا يزيد، وبذلك تتحقق سلامته في الحياة وتستمر بشكل منضبط، فغرائزه جعلها الله منضبطة حتى تستقيم حياته، فالحيوان لا عقل له ولا حكمة، لذلك جعل غرائزه مُحْكَمَة توافق خلقته وحياته، ورزقه من الحواس ما يتماشى مع خلقته وغريزته التي خلقه عليها فهو لا يحيد عنها ولا يخرج عنها؛ لأنها مُحكَّمةٌ ومغروزة فيه وهو مجبور عليها.

أما الإنسان فمحكوم بعقله لا بغرائزه، فعقله يدله على ما فيه منفعته وسعادته فإذا أَذْهَبَ عقله وخسره بأي نوع من أنواع الخمر فأصبح لا شيء يحكمه ولا شيء يدله على ما فيه منفعته وسعادته ومصلحته، فغرائز الإنسان غير منضبطة وليس له عقل نتيجة لذلك حَرم الله تعالى الخمر وكل ما هو مُسْكِر، وكان من أسوأ ما يفعله الإنسان بأن يذهب عقله ويتعاطى المخدرات والمسكرات، فإذا ذَهَبَ عقله، وليس له غرائز ضابطة فما الذي يحكم تصرفاته وقراراته؟ لا شيء، فيصبح أسوأ من الحيوانات. عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما أسكر كثيره فقليله حرام» صحيح سنن أبي داود.

فالخمر يلغي العقل، والميسر يلغي العمل، وهو القمار وهو يُخْرب البيوت، والأنصاب والأزلام تلغي الأخذ بالأسباب، وتجعلك تعتمد على ورقة تقول: افعل وورقة أخرى تقول: لا تفعل، فتضع من هذه الورقة عشرة، ومن الورقة الثانية عشرة وتضعهم في كيس وتخلطهم، ثم إذا أردت أن تفعل أي شيء زواج، سفر، شراء بيت... تضع يدك في الكيس وتسحب ورقة فإذا كانت: افعل، فعلت، وإذا كانت: لا تفعل، لم تفعل! فأين العقل والتفكير والأخذ بالأسباب؟! فهذا كله حرام.

وكلمة: فاجتنبوه، في آية المائدة (90) قوية جداً لأنها تمنعك من الاقتراب، فهي أقوى من كلمة: لا تفعلوه، لأن في الأمر تحريم من الاقتراب من هذا الأمر، فإذا حَرَّمَ الاقتراب، كان الوقوع في الشيء أكبر حُرْمَة، فالفلاح الدنيوي، والفلاح الأخروي مرتبط باتباع هذا الأمر بالابتعاد.

6 - قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 5/ 100].

قاعدة من القواعد القرآنية تبين ضعف النفس ومحبتها للكثرة وللتزود، ومن هذا المنطلق جاء حديث رسول الله ﷺ عن أنس رضي الله عنه: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديًا ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب» مسلم، وقال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: 102/ 1 - 2]، وقد تجنح النفس الإنسانية نتيجة حبها للكثرة ونتيجة طمعها إلى كسب هذا الكثير بطرق غير مشروعة، والكثير يعجب ويغري، كثير المال، كثير الجاه، كثير الجمال، وما إلى ذلك، فالنفس ضعيفة، وضعفها وشهوتها قد يدفعان بها إلى الكسب الحرام والعيش الحرام، ولكن الله سبحانه يبين فيقول: لا يستوي، نعم لا يستوي الكسب الحرام والكسب الحلال، لا يستوي الخبيث والطيب، ولو أعجبك، ولو ظننت أنك بسعادة، تتزوج بامرأة جميلة جداً وتظن أن السعادة بها وبجمالها وروعتها ولكن لا

أخلاق ولا قيم ولا احترام، هل هذه تستوي مع إنسانة صالحة ذات أخلاق وقيم وأصالة، ترعى بيتها وزوجها وتصون عرضها وشرفها؟!

لا مساواة! والفرق واضح، وقد يخطئ الإنسان نتيجة غريزته وطموحه وطمعه ولكن الله رحيم لطيف ودود، يناديك: ارجع يا عبد الله، أنا خلقتك وأعلم بك من نفسك التي بين جنبيك، ارجع يا عبد الله فالباب مفتوح (باب الرحمة)، فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون. ارجع واتقِ الله إذا كان لك عقل يردعك، وإذا كان لك تَبَصُّر ففلاحك فيما بَيَّنَهُ لك ربك. ويحكي لنا الله تعالى عن الضعف البشري في سورة القصص: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [القصص: 28/ 79].

انظر إلى عظمة القرآن، يا ليت لنا مثل ما أوتي، ألسنا ذلك الشخص نرى الغني فنتمنى، نرى السيارة الفاخرة فنتمنى، نرى البيت الفخم فنتمنى، لكن أهذا هو المهم؟ أهذا هو النجاح والفلاح؟ والجواب في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۖ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ [القصص: 28/ 80].

نعم بيت صغير بالحلال خير من قصر كبير بالحرام والفائدة، نعم إن الدنيا زائلة والنعيم نعيم الجنة، والفوز الفوز بالجنة، نعم ثواب الله خير، فالعين على الآخرة.

7 - قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 7/ 69].

ما معنى كلمة آلاء؟ هي النِّعَمْ وهي ما فضّلك الله به، الآلاء هي ما أعطاك الله تعالى وحباك وخصّك به، وما فضلك به على غيرك، هي نعم الله عليك سواءً أعرفتها أم لم تعرفها. وقرن الله سبحانه اعترافك بفضله ونعمه عليك بالفلاح أي: أن فلاحك موقوف على اعترافك بفضله سبحانه وتعالى، لأن هناك نقطة مهمة وهي: إن اعترافك ومعرفتك بفضله جالب لشكرك له سبحانه، فإذا ما عرفت فضله ونعمته حقيقة فكيف تشكره؟ أنت بطبعك تشكر من أعطاك شيئًا أو صنع لك شيئًا ولكنك لا تشكر من لم يفعل لك شيئًا، لذلك لا بد من أن تعرف نِعَم الله عليك حتى تشكره،

وكلما تعرفت على نِعَمه أكثر كلما كان شكرك أكثر، وحيث أن نِعم الله تعالى لا تُعَدُّ ولا تُحْصى؛ لذلك شكرك لله تعالى يجب أن يكون لا متناهٍ دائماً وأبداً، في الليل والنهار، وحيث أنك لا تستطيع تأدية شكر الله تعالى على الوجه الذي يليق، ولكن الله تعالى من نعمه وفضله يقبل منا القليل، فله الحمد والشكر والنعمة والرضا والثناء الجميل حتى يرضى، اللهم آمين.

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو أن يشرب الشَّربَةَ فيحمده عليها» رواه مسلم.

وشكر الله تعالى يستلزم: 1 – الخضوع لله تعالى، 2 – حبه سبحانه، 3 – الاعتراف بفضله ونعمه، 4 – الاعتراف بجهلنا بكل نعمه وفضله لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: 14/ 34]، 5 – الاعتراف بأن كل النعم منه ومن فضله ومن قدرته ومن تمننه علينا، ولولا أنه أمر بها لنا (أي: النعم) ما جاءتنا ولا حَصلناها، وهذا يستلزم:

1 – أن نبرأ من حولنا وقوتنا وقدرتنا وذكاءنا وعملنا ونلتجئ إلى حوله وقوته وقدرته وتقديره وإذنه ومشيئته سبحانه وتعالى، وأن الفضل له وحده، وأن القدرة له وحده، ونحن نعلم بأن نِعَم الله قد نتبينها ونعلمها كنعمة الإسلام، ونعمة الصحة، ونعمة الزوجة والأولاد... 2 – ونعم نرجوها من الله تعالى ندعوه لكي تحصل، وندعوه كي تتحقق، وقد يستجيب الله تعالى، وقد لا يستجيب، وقد يعطينا أفضل منها، وقد يصرف عنا من السوء ما هو خير لنا من تحقيق ما نرجوه وما ندعو به. 3 – ونِعَمٌ نحن فيها ولا نعلم بها، وقد نتعرف على بعضها عند زوالها، لذلك كان بعضهم يدعو فيقول: (اللهم عرفنا نعمك بدوامها، ولا تعرفنا بها بزوالها). 6 – يجب ألا نستعمل النعمة فيما يكره الله تعالى مما حرمه، وهذا من أبواب شكر النعمة، فمن يقامر بماله، ومن يتلف حياته بالمسكرات والمخدرات ومن يهدر

ويبذر ويبدد ما أنعم الله تعالى به عليه، فهذا ما قدّر النعمة ولا شكر وجودها، ولا شكر الله عاطيها ومانِحها. 7 - ومن باب الشكر أنك إذا أخطأت وجنحت بك الشهوات، ترجع وتتوب إلى الله تعالى، فمن نعم الله تعالى الكبيرة جداً والعظيمة جداً أن جعل باب التوبة مفتوح مدى الحياة حتى تصل الروح إلى الحلقوم، فتب يا عبد الله وارجع.

وقل كما قال رسول الله ﷺ: «اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر» أبو داود - صحيح.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان: 31/ 20].

لو سألت نفسك: أنت توحد الله تعالى، ولكن كم عدد الكفار في الأرض؟ كم عدد المرضى؟ كم عدد الفقراء بلا مأوى؟ كم عدد المشردين؟ كم عدد العميان والصم؟ وكم وكم وكم...

إن نعم الله علينا لا تعد ولا تحصى، فالحمد لله حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، لله الحمد على كل شيء، لله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، اللهم آمين.

8 - قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: 8/ 45].

أمرنا الله تعالى بالثبات أمام الكفار، ولذلك علمنا رسول الله ﷺ أن من الكبائر: الفرار من الزحف. ثم أمرنا ربنا سبحانه بأن نذكر الله كثيراً حتى يتحقق فلاحنا، وذِكْرُ الله مُعرّف بأنه كل عمل صالح؛ من صلاة، وصيام، وقراءة قرآن، وتسبيح، وتحميد، واستغفار، واعتراف بفضل الله تعالى، واعتراف بالتقصير، والتوبة، والتضرع إلى الله

والتذلل له، والتحدث عن دينه وعقيدته، وتوحيده، وإزالة الشبهات، وكشف الغامض من الأمور الشرعية، كل هذا من الذِكْر وقد يكون الذكر في الآية مخصوصاً بتذكر نعم الله تعالى على المؤمنين، لأن تسلسل الآيات في سورة الأنفال تبيّن فضل الله تعالى على المؤمنين.

فالتذكر هنا قد يكون -والله أعلم-: تذكر النعم، وشكر الله تعالى عليها، ومعرفة أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، فلو قرأنا تسلسل الآيات لرأينا نعم الله وفضله، وهذا يؤدي إلى الاعتراف، قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡ﴾ [آل عمران: 3/ 160]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: 22/ 40]، وقوله: ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا﴾ ، لأن النعم لا تعد ولا تحصى، كذلك الشكر يجب أن يكون كثيراً كثيراً. ولكننا ضعفاء ومقصرين فقال سبحانه: كثيراً؛ ليذكرنا، وهذا من فضله وكرمه، والفلاح مقرون بالاعتراف والشكر، لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ .

9 - قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: 22/ 77].

فلاح الإنسان بعبوديته لربه، وبطاعته لربه، وبفعله الخير في سبيل ربه، وهذه العبودية هي تحقيق الإيمان في قلب العبد، فلولا إيمانه بربه ولولا عقيدته لما ركع وسجد، ولولا إيمانه بأنه راجع إلى ربه وأن هناك يوم يقف العباد بين يدي ربهم لما عبده وفعل الخيرات من أجل مرضاة ربه، ومن أجل نجاته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، سليم من الشرك، سليم من الكفر، سليم من الشبهات، سليم مخلص لله تعالى، سليم من أمراض النفاق، سليم من التسليم لرب العالمين. قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء: 4/ 125]، وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: 2/ 112].

10 - قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: 24/ 31].

خطاب إلى المؤمنين بأن يتوبوا، ولكن هل يخطئ المؤمنون حتى يتوبوا؟ ويقول بعضهم: لو كانوا مؤمنين ما أخطؤوا؟ وهذا هو الغلط بعينه، نعم يخطئ المؤمنون وغير المؤمنين، قال عليه الصلاة والسلام من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه: «كل بني آدم خطاء» الترمذي - ابن ماجه - الحاكم - صحيح، ولكن الخطأ يختلف والرجوع عن الخطأ يختلف، إن خطاب الله للمؤمنين أن يتوبوا من جميع الأخطاء صغيرها وكبيرها، والمؤمن يعترف بذنبه ويتذلل إلى ربه حتى يغفر له.

(غفور رحيم) جاءت في القرآن الكريم (42) مرة، وهذه نعمة من نعم الله علينا، ومن فضله وكرمه أن عرف ضعفنا وعرف شهواتنا، وعرف زللنا، فطلب منا التوبة حتى يغفر لنا فما أرحمه وما أكرمه وما ألطفه بنا، فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: 3/ 135].

11 - قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: 62/ 10].

يجب على الإنسان أن يكون مرتبطاً بربه دائماً ومعه ومع ذكره، يحمده في السراء ويتضرع إليه في الضراء، وما بين هذه وتلك يدعوه ويسأله من الخير كله ويعوذ به من الشر كله، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل شيء صقالة، وإن صقالة القلوب ذكر الله، وما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله»، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال ﷺ: «ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع» ابن أبي الدنيا والبيهقي.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والوَرِقْ؟ -(الوَرِقْ) أي: الفضة-، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله» رواه مالك - أحمد - الترمذي - ابن ماجه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم، إلا كان عليهم تِرَة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم» حم - ت - طب - السلسلة الصحيحة - (تِرَة) معناها: عتاب، أو حسرة أو ندامة.

وأود أن أستعرض الإحدى عشر آية التي ذكرت (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

1 - قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 2/ 189].

2 - قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 3/ 130].

3 - قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 3/ 200].

4 - قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 5/ 35].

5 - قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 5/ 90].

6 - قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 5/ 100].

7 - قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُواْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 7/ 69].

8 - قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الأنفال: 8/ 45].

9 - قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الحج: 22/ 77].

10 - قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [النور: 24/ 31].

11 - قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: 62/ 10].

إحدى عشر آية تبين سبيل الفلاح، خصائص هذه الآيات: 1 - اتقوا الله (5) مرات، 2 - اجتناب الربا، 3 - الصبر والمصابرة والمرابطة، 4 - ابتغاء الوسيلة والجهاد في سبيله، 5 - اجتناب الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، 6 - لا يستوي الخبيث والطيب، 7 - ذكر نعم الله تعالى، 8 - الثبات عند لقاء الأعداء، وذكر الله تعالى، 9 - العبادات والعمل الصالح، 10 - التوبة، 11 - ذكر الله تعالى كثيراً وردت مرتين في هذه الآيات.

1 - فتقوى الله تعالى بأشكالها، وهي لا تأتي إلا بالعقيدة الصحيحة والإيمان التام، 2 - البعد عما حرمه الله تعالى، 3 - الطاعة والعبادة والعمل الصالح وذكر الله تعالى، 4 - والتوبة النصوح، 5 - والثبات في الجهاد، والصبر والمصابرة، ولما خاطبنا ربنا في هذه الآيات: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة: 5/ 100]، أولي الألباب أي: أولي العقول، أولي التفكير والتحليل، فالإنسان له عقل يقف عند حدود النص، ويعقل التعليمات والأوامر، فمثلاً لو كنت في سيارة وجاءت لافتة تقول: الطريق مغلق بسبب التصليحات على بعد (2) كم. فما الذي تفعله؟ ترجع من فور قراءتك اللافتة، لأنك عاقل وإنسان تتعامل مع النص ومع التعليمات، ولكن لو أن حيوانـًا مر من نفس الطريق فإنه لا يغير مساره حتى يصل إلى مكان الإغلاق

أو الفيضان أو النهر، فالحيوان يتعامل مع الواقع وليس مع النص، فالآن هؤلاء الذين يدّعون أنهم واقعيون، ويتعاملون مع الواقع، هل هؤلاء من أرباب العقول والمنطق؟ أم أنهم كالحيوانات يتعاملون مع الواقع؟

نحن نسمع ونقرأ ونفهم ونصدق ونثق بكلام ربنا وبكلام رسوله عليه الصلاة والسلام، نتعامل مع النص الذي وضعه من أوجدنا والذي خلقنا، هو يُعَلّمُنا ما فيه خيرنا وفلاحنا في الدنيا والآخرة، قال: اجتنب الربا، والخمر، والميسر، والأنصاب والأزلام؛ أجتنبُها بكل ثقة وصدق، وأعلم أنها خير لي ولحياتي ولمعيشتي ولسلامتي.

إذا ذهبت لغابة ورأيت لافتة تحذِّر من وحوش ضارية، هذه معلومة لمصلحتي ولحمايتي ولسلامتي، أشكر من وضعها ولا أقول: إنها مقيدة لحريتي، وكذلك أوامر الله تعالى، فهو لصالحنا ولسعادتنا ولحمايتنا ولتبيان ما نجهله ولتعليمنا وإرشادنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم